السيسي في مصر يحكم بالخوف.. والخوف يحكمه

ترجمة وتحرير: نون بوست

قال نشأت الديهي، مقدم برنامج "بالورقة والقلم" في التلفزيون المصري، إنني أعمل لحساب جماعة الإخوان المسلمين. ولم يكن المصري الوحيد الذي أعرب عن غضبه من مقالتي الأخيرة، والتي كانت تتحدث عن كيفية تدمير الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي لمصر، فلقد نشر أنصار السيسي على الإنترنت وابلًا من التصريحات والإهانات الشخصية على صفحتي على تويتر – أو كما أصبح يُطلق عليه "إكس" – على امتداد أيام، مما يكشف مرة أخرى أن كل أمل في إجراء نقاش مدروس على منصات التواصل الاجتماعي قد ضاع منذ فترة طويلة.

وهذا الادعاء سخيف في ظاهره. ببساطة؛ فمن غير الممكن أن يدفع لي الإخوان المسلمون مقابل أي شيء بناءً على هويتي وما كتبته عنهم. أنا لا أصدق أن الجماعة مخادعة وليست مضطرة لذلك أبدًا. ومثل بقية المصريين، فإنهم بارعون في الاستفادة من خطاب الإصلاح السياسي في السعي لتحقيق أجندة مناهضة للديمقراطية.

علاوة على ذلك؛ أنا متشكك في الأسطورة التي خلقها الإخوان المسلمون في فترة ما بعد حسني مبارك مباشرة. لقد كان هناك المزيد من المغالطة والترهيب الانتخابي الذي مارسته جماعة الإخوان المسلمين أثناء انتخاب مرشحها محمد مرسي للرئاسة في سنة 2012 أكثر مما يمكن لأي شخص أن يعترف به. وحتى لو كانت جماعة الإخوان المسلمين أقل كفاءة في محاولتها السيطرة على الدولة، فإنني أشك في أن مصر كانت لتصبح قصة نجاح في الربيع العربي.

وبعد أن كتبت عن مصر لسنوات؛ اعتدتُ على هذا النوع من الأشياء حاليا، وكنتُ غالبًا أتجاهل مثل هذه

الإساءة، لكن تعليق الديهي لفت انتباهي. وذلك لأن الاتهام بأن منتقدي السيسي تابعون لجماعة الإخوان المسلمين هو مؤشر على مشكلتين مترابطتين يعاني منهما الزعيم المصري وأنصاره، ولا يملكون أي إجابات لها.

أوَّلا، كما كتبتُ في مقالتي السابقة، يوجد تباين كبير ومتزايد وملحوظ بين ما تُعِد به الحكومة المصريين وواقع الحياة اليومية التي يعيشها المصريون. وعندما يتجرأ الناس على الإشارة إلى ذلك، يتم تصنيفهم على أنهم من أنصار الإخوان المسلمين، أو يتعرضون للسجن والاعتداء الجسدي كما حدث مع عدد كبير من المصريين. وهذا الرد الشرس هو مقياس لمدى معرفة السيسي ومؤيديه ومخاوفهم من أن هناك العديد من المصريين الذين يدركون هذه الفجوة وطبيعتها المحتملة المزعزعة للاستقرار.

ثانيًا، والأهم من ذلك، هو أنه على الرغم من الجهود التي يبذلها السيسي، فإنه لا يزال غير قادر على التخلص من التأثير الكبير الذي يمارسه الإخوان المسلمون على السياسة والمجتمع المصري.

في أعقاب الانقلاب الذي أوصل السيسي إلى السلطة، بالتوازي مع الحملة الإعلامية التي قادتها الدولة تم تصوير الإخوان بشكل روتيني على أنهم عملاء للقطريين أو الأتراك

وبطبيعة الحال؛ حتى قبل عهد السيسي بفترة طويلة، كان من الشائع أن يقوم المسؤولون المصريون باسترضاء وقمع جماعة الإخوان المسلمين بالتناوب. ففي مطلع الأربعينات من القرن الماضي؛ استسلم رئيس الوزراء، مصطفى النحاس، للضغوط السياسية التي مارستها جماعة الإخوان المسلمين وقام باتخاذ إجراءات صارمة ضد الكحول والدعارة بينما سمح للجماعة بنشر صحفها. وبعد بضع سنوات، قامت حكومة جديدة بقمع جماعة الإخوان المسلمين، قبل أن تستأنف حكومة أخرى استرضاء الجماعة.

وقام جمال عبد الناصر بسجن الآلاف من قيادات وأعضاء الإخوان، وأطلق سراح بعضهم، ثم أعاد سجنهم مرة أخرى. وقد أطلق خليفته أنور السادات – الذي كان في السابق من أنصار الإخوان – سراحهم وأعطاهم الفرصة للنشر والوعظ. ومع ذلك، فقد اختلفوا حول السلام الذي عقده السادات مع إسرائيل، وامتلأت السجون المصرية بالإخوان مرة أخرى.

وفي أعقاب اغتيال السادات في سنة 1981، منح حسني مبارك الجماعة الفرصة لاستئناف أنشطتها، معتقدًا أن منح الإخوان مكانة أكبر في مجالات النشر والتعليم والمجتمع المدني من شأنه أن يستمد الدعم بعيدًا عن المتطرفين الذين اغتالوا السادات. وبعد حوالي عقد من الزمن؛ قرر مبارك أنه اكتفى وأمر الأجهزة الأمنية بضبط الجماعة. وعلى امتداد هذا النمط من التسوية والمواجهة؛ ظلت جماعة الإخوان المسلمين لاعبًا سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا مهمًا في مصر.

وفي السنوات الأخيرة؛ أصبح قمع جماعة الإخوان المسلمين والادعاء بأن منتقدي الحكومة أعضاء في الجماعة (أو يتلقون أموالاً منها)، أكثر وضوحًا وخطورة. وذلك لأن السيسي سعى إلى إعادة صياغة الخطاب القومي في مصر من خلال استبعاد جماعة الإخوان المسلمين منه.

ولكن القومية لا تنشأ بشكل عفوي. إنها مستحضرة ووهمية، وهي نتيجة لمشاريع سياسية متضافرة. ومن ثُم فهي تخضع بشكل دوري لإعادة التفسير لتناسب احتياجات القادة السياسيين.

وهذا بالضبط ما فعله السيسي لتصوير جماعة الإخوان المسلمين – التي تتجذر أصولها ومكانتها ونظرتها للعالم في التجربة المصرية – على أنها عنيفة وغريبة عن المجتمع الذي ولدت فيه.

عندما شكك المحللون في خطاب الحكومة واستخدامها للعنف، تم تصويرهم بشكل روتيني في الصحافة المصرية على أنهم أدوات للإخوان المسلمين

في أعقاب الانقلاب الذي أوصل السيسي إلى السلطة، بالتوازي مع الحملة الإعلامية التي قادتها الدولة والتي سعت إلى إنشاء والحفاظ على مخزون من الدعم لما يسمى "الثورة الثانية" في مصر، كان هناك دافع لتصوير جماعة الإخوان المسلمين على أنها "الثورة الخامسة". لقد تم تصوير الإخوان بشكل روتيني على أنهم عملاء للقطريين أو الأتراك.

وفي الوقت نفسه؛ برر السيسي العنف الذي استخدمه لقمع الإخوان على أساس أن الجماعة منظمة إرهابية. لقد كان هناك وقت احتفظت فيه جماعة الإخوان المسلمين بما يسمى بالجهاز السري أو الكوادر المسلحة، ولكن تم تفكيكها منذ فترة طويلة. ومع ذلك؛ فقد ربطت الحكومة المصرية بشكل مباشر بين الإخوان والتطرف الشبيه بتنظيم الدولة.

وعندما شكك المحللون في خطاب الحكومة واستخدامها للعنف، تم تصويرهم بشكل روتيني في الصحافة المصرية على أنهم أدوات للإخوان المسلمين. ضع 100 من مراقبي مصر الغربيين في غرفة واطلب من الأشخاص الذين اتُهموا بالعمل لصالح الإخوان رفع أيديهم، وأنا متأكد من أن الأغلبية سوف يرفعون أيديهم.

وهذا يعيدنا إلى المشكلة الثانية التي تواجهها القيادة والتي لا تمتلك إجابة لها: حاول، كما قد يفعل السيسي، إعادة كتابة الخطاب القومي في مصر، فإن جهوده لإبعاد الإخوان المسلمين عنها تعد محاولة فاشلة. فلقد لعب الإخوان دورًا مهمًا في بعض أهم الأحداث القومية في القرن العشرين؛ حيث ثاروا ضد الاحتلال البريطاني، وعلى الرغم من أنهم كانوا في البداية يميلون بشكل إيجابي تجاه النظام الملكي المصري، إلا أنهم عارضوا الملك فاروق طوال معظم فترة الأربعينات ومطلع الخمسينات من القرن الماضي.

وكانت جماعة الإخوان المسلمين من أوائل الجماعات التي دقت ناقوس الخطر بشأن الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين. وفي حرب سنة 1948 بين دولة "إسرائيل" الجديدة وجيرانها، حارب الإخوان (وإن كان ذلك بشكل غير فعال) ضد الإسرائيليين بالقرب من بئر السبع وبيت لحم والقدس، على الرغم من أنهم تلقوا مساعدة من آلاف الجنود والضباط المصريين الذين تقطعت بهم السبل في جيب الفالوجة – بالقرب من قطاع غزة – في المراحل الأخيرة من الصراع.

يمكن للسيسي استخدام الكثير من القوة والعنف، ولهذا السبب فإن الاتهامات الموجهة إلى شخص ما بأنه عضو في جماعة الإخوان المسلمين أو يتقاضى أجرا من المنظمة قوية للغاية

ومع ذلك؛ كان هناك بعد سياسي حاسم آخر لنشاط الإخوان فيما يتعلق بفلسطين؛ حيث اعتقدت المجموعة، المتوافقة مع الإصلاحيين الإسلاميين في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، أن ضعف المجتمعات الإسلامية يدعو إلى التدخل الأجنبي. وبقدر ما اعتبروا هم وكثيرون غيرهم أن الصهيونية أداة للاستعمار الأوروبي، كان يُنظر إلى المقاومة الفلسطينية ضد الإسرائيليين على أنها مشابهة للمقاومة القومية التي كان المصريون يمارسونها ضد البريطانيين.

ولم يكن الإخوان المسلمون هم الفاعلون الوحيدون في هذه الأحداث المعقدة، التي امتدت لعقود. لقد برز بالطبع حزب الوفد، وحركة الضباط الأحرار، ومجموعة متنوعة من الأحزاب الأخرى. ولكن رغم محاولة السيسي، إلا أنه لا يمكن إنكار الدور الذي تلعبه جماعة الإخوان المسلمين في القضايا التي كانت ولا تزال حاسمة بالنسبة للسرد القومي في مصر.

في بعض النواحي؛ هذه قصة مصرية قديمة، حيث كانت الأسئلة الأساسية حول المجتمع والحكم والهوية ودور البلاد في العالم موضع جدل منذ فترة طويلة. ولكن بسبب اعتماد قادة مصر في الأغلب على التخويف والإكراه لإرساء سيطرتهم السياسية، فإنهم يصبحون ضعفاء أمام الزعماء السياسيين

المحتملين الذين لديهم إجابات على هذه الأسئلة.

يمكن للسيسي استخدام الكثير من البطش والعنف، ولهذا السبب فإن الاتهامات الموجهة إلى شخص ما بأنه عضو في جماعة الإخوان المسلمين أو يتقاضى أجرا من المنظمة قوية للغاية. ونتيجة لذلك؛ تم اعتقال المعارضين المصريين السلميين غير الإسلاميين، مما يزيد من صعوبة وخطورة سعي الناشطين إلى تحقيق أجنداتهم.

وفي الوقت نفسه، فإن هذا الاتهام فارغ، بل غبي، وهو رد روتيني على أي انتقاد موجه لزعيم وأنصاره، الذين لا يستطيعون تقديم رد متماسك على منتقديهم. وهو أيضاً نوع الرد الذي يستخدمه القادة السياسيون عندما يشعرون بالخوف. وفي الواقع، بقدر ما يحكم السيسي بالخوف، فإن الخوف يسيطر عليه.

المصدر: فورين بوليسي

رابط المقال: https://www.noonpost.com/164298/